حياة الملك عبدالعزيز الشخصية

لقد صحبت الملك عبدالعزيز في السلم وفي الحرب وعاشرته في البادية والحاضرة، وخبرته في حالتي الرضا والغضب، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف عن حياته العامة إلا يسيراً، فهي أشبه بنظام أتوماتيكي لا يكاد يتغير.

يقوم الملك عبدالعزيز عادة قبل الفجر بساعة، فيقرأ ما تيسير من القرآن الكريم. حتى إذا أذن مؤذن الفجر أدى فريضة الصلاة. ثم ينصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبيﷺ ثم تعرض عليه الأشياء التي تقتضي البت فيها بسرعة، ثم ينام بعد ذلك قليلاً ، فيغتسل كل يوم صباحاً ويلبي ثيابه ويفطر. ثم يخرج إلى مجلسه الخاص، فتعرض عليه مهام الحكومة، ويعطي أوامره لموظفيه. فإذا انتهى من ذلك قابل الناس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة، ويسمع شكوى المشتكي ونصح الناصح، ويباحث زعماء الزوار فيما يهم من شئونهم. ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابلته، ويقضي في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه بخطابة فيما يهم من أمور الدين والدنيا. وينصرف إلى الغذاء، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً، ثم يصلي الظهر، ثم يرجع إلى مجلسه الخاص، فتعرض عليه الشئون الهامة، ثم ينصرف لصلاة العصر، فيحضر عنده إخوانه وأولاده وأقاربه، وكبار الموظفين يسامرهم، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الضواحي للرياضة، وبعد العشاء يجلس في مجلس عام، وهنالك يحضر قارئ يقرأ نحو ساعة شيئاً من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته.

ومما يجب أن يذكر: أن الملك عبدالعزيز - أثناء إقامته في الرياض - كان يقوم

بزيارة والده الإمام عبدالرحمن - رحمه ا وغفر له- كل يوم، وكذا سائر أقاربه الأدنين، وكذلك لا تزال هذه عادته في مكة يزور كل يوم من يكو حاضرا بها من أقاربه.

والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد، لا يعرف أي قيمة للدرهم، إلا أنه وسيلة للزلفى عند ا ، أو لبناء المجد، أو حس الذكرى. فقلما يرد سائلا يطلب معونته، أو منحتاجا يقصد بابه. وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة، وقلما يعتمد على أحد آخر في ذلك، على أن هذه العطايا قد يكون لها مرامٍ سياسية بعيدة يرمى إليها، وديوانه مفتوح للقادمين يقابل زائريه مهما صغر مقامهم بوجه باش، ويأخذ ألبابهم بابتسامته الي لا تكاد تفارقه، ومجلسه لا يخلو من خطبة صغيرة يراعي فيها نفسية السامعين.

ولا يضيق صدر الملك عبدالعزيز إلا عند ما يجد خزائنه تضيق عن الطلبات والعطايا، فهو يتكدر خوف أن يظهر بمظهر العاجز أمام السائلين الذي تعودوا رفده.

وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما ننصحه بالادخار، ونقول : إن المستقبل علمه عند ا ، وإن الرخاء ليس بدائم. فيقول: إن كنز المال لا ينفع، هل أفادت عبدالحميد خزائنه وما ادخره من المال؟ وهل أفادت خزائن ابن الرشيد؟ وأعتقد أن الملك قد غير فكره في هذه الأزمة التي أخذت بالخناق، وأصبح يعتقد في المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة.

والملك عبدالعزيز من المعجبين بمحمد بن الرشيد أمير حايل، والذي امتدت سيادته وقتا ما على نجد كلها، والذي في أيامه هاجر الملك - وكان الأمير

الصغـير- مع والده إلى الكويت وهو ينحـو نحوه في طريقة الـعطاء، وهو دائماً يقص القصة الآتية إعجاباً بتصرف الرجل:

وفد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد، فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً، وفي نفس الوقت وفـد شيخ من مشايخ البـدو الصغار- وكان الأخـير في وقته يقطع الطرف مع رجال قـبيلته في شمال نجد - فأكرمـه إكراماً زائداً، وكساه وأعطاه منحة كبيرة، فسئل محمـد بن الرشيد عن هذا التصرف الغريب؟ فقال: أما الأول فـإنه وإن كان قـوياً وكبيـراً، ولكنه يحس بما عليـه من المسئـولية، وإنه يحافظ علـى مركزه ومـاله بالولاء لنا. فهـو في حاجة إلينا، وأمـا الآخر فـمثل العصفور ينتـقل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده، فنحن في حـاجة إلى تأليفه وإرضائه، وما نكف به شره لا يساوي شيئاً إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقوبته.

والملك عبـدالعزيز وفيّ لأصدقـائه، محافظ عـلى ودهم، ولايحب أن يبدأ أحداً بالعـداء، ويميل إلى استـرضاء الناس واكـتساب ودهم مـهمـا كلفه ذلك، ولكن إذا تيقن أن ليس هنـالك من سبيل للصداقـة فإنه يعادي - ويعـادي بشدة- ولكنه قلّما يهاجم خصمه، فإذا هاجمه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه، وهو في هذه الحالة يأخذ بسياسة « الغاية تبرر الواسطة».

والملك عـبدالعـزيز طيب القلب، لايكاد يضـمر حـقداً . وهو إذا غـضب - وغضبه قليل - فإنك ترى أسـداً يزأر، أو جملا يهدر، وتكاد عينك تكذب أن ها العضبان هو عـبدالعزيز بن سعود، الرضى الخلق الوسيم الوجه. وكـثيراً ما كان يعتذر عن التـصرفات التي تصدر في حالة غـضبه، كما أنه كـثيراً ما يغمـر خدمه الذين يصيبهم من شرر غضبه ما ينسيهم ألم ما أصابهم.

وهو مـتواضع، طيب العـشرة، رقـيق السمـر، له جاذبيـة لمن يعرفـه تشـبه

السحر. وإني لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذي كان له معهم اتصال سياسي. وهو كثير الشبه بمعاوية بن أبي سفيان في حلمه وبعد نظره، وحسن حيلته في تصرف الأمور.

في سنة ١٩٢٥م كان الملك ابن السعود يظهر إعجابه بالإنجليز - وسعة ملكهم، وإخلاص رجالهم لبلادهم للجنرال كلايتون، فقال الجنرال: إن ماذكرته صحيح، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين، ولكن ألا يصلح لنا - نحن الإنجليز- أن نعجب بك. فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً، وإذا طرد لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا ملكنا تؤسس أنت إمبراطورية مثل أو أكبر من إمبراطورييتنا. وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان، وأخذتم بسنن التقدم، فإن أسلافكم العرب قدد شيدوا إمبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلها.

فقال الملك: هذه وإن كانت أمنية العرب، ولكنني لا أعتقد في نفسي القدرة على تحقيق ذلك، وكل ما أتمناه أن يجعل ا من رجالنا من يماثلكم في الإخلاص والتضحية لبلادهم.

والملك ابن سعود ربما كان أحلم أمراء العرب، وأبعدهم عن الانتقام من الموظفين. ولا سيما الموظفين الذين يعرف لهم سوابق خدمة أو إخلاص، فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل.

والملك ابن سعود يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية، أو ما يمس مركز حكومته. فإنه لا يتساهل فيه بحال، وقد يعاد المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضي الملك. لقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧م لشدته، فلما حضر إلى مكة قال له الملك: إننا لم نعز لك من

منصبك لنقص في دينك، أو شبهة في أمانتك، ولكننا تحيناك لشدتك. ونحن نريد اللين مع الناس، فقال له الأمير: الحمد لقد ولاك ا على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم، ولئن حرمت من المنصب فإني أتمتع برؤيتكم صباحاً ومساء، وهذا لا يعادله شيء عندي في هذه الدنيا. فسر الملك لهذا الجواب اللطيف وواظب هذا الأمير على الحضور إلى مجلس الملك كل يوم، فلم تمض بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة.

والملك عبدالعزيز من الرجال العمليين الذين لا تغرهم مظاهر الأمور. كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) إذنه بإقامة الاحتفالات لمناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز، ومخالفة ذلك للسنة، أرضاهم بالنزول على رأيهم، لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره، ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في تعميم المواصلات اللاسلكية في بلاده وتشييدها، لاعتقاده بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد عن التلغراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان، وأنها بالعكس ركن من أركان السلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال.